

لقد أديت واجبي» وتلك الكلمة العظيمة كانت آخر كلماته

ونابليون في موقعة (جسر لودي) عندما وجد النمساويون يحملون البلد ، ويمشون فوق الجسر بمدافعهم ، ونيران بنادقهم ، رأى أن النصر لا يتم إلا بعبور ذلك الجسر الضيق الشديد الخطر . ولكن القوادتهم بهور والمغامرة والمجازفة والمخاطرة إلى غير ذلك من الأقوال التي لم تثبط من عزيمته . ولم تهبط من همته . فاختار من جنوده أشجعهم وتناول بيرقا . وصاح في جنوده « اتبعوا قائدكم » . ثم صار في مقدمتهم والرصاص يتناثر والقذائف تتساقط . والدخان يملأ الجو . ومدافع الأعداء تحصد فيهم حصداً . وعلى الرغم من ذلك . وصل إلى الشاطئ . وعلى الرغم من ذلك ، انتصر . واستولى بهذا الاستبسال النادر على قلوب العساكر والقواد وحصل على اللقمة التي ليس بعدها نقمة . والتي انتفع بها في معاركه وارتفع بها ذكره في التاريخ (الملازم)

ذكرى ١٤ سبتمبر

في مساء يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ دخلت خيالة الجيش الإنجليزي بقيادة الجنرال « لوى » مدينة القاهرة فتم بذلك للغاصب المعتدى احتلال البلاد المصرية والقضاء على كل مدافعة من جانب المجاهدين المصريين لدفع الضر عن وطنهم المسكين الذي ما كاد يطرح عن كاهله مفارم الاستعباد القديم ويأخذ بأسباب الحياة الحرة ويجهز لها ما تتطلبه من وسائل التقدم والنجاح حتى وجد في طريقه دولة إنجلترا تسد في وجهه مفتاح الأبواب وتعمل بكل قواها على حرمانه من حقه في الحياة توالى على مصر أيام سود كانت فيها نهباً مقسماً بين مطامع كثير من الشعوب المفيرة ومسرحة لمختلف أنواع المظالم والمنكرات . فما زالت تعتمص بالصبر والثبات والعمل المتواصل على كسر ما أحاط بها من قيود ورفع ما اعترض حياتها من موانع ، حتى فازت بالدستور الذي أسلم مقاليد أمرها إلى أيدي أبنائها . فخطت بذلك أولى خطواتها نحو الحياة الحرة المستقلة .

ولقد فرحت الامة يومئذ بدستورها وعاشت عليه آمالاً كباراً لم تتحقق لسوء حظها لأن انجلترا لم تطق أن ترى في مصر الفتاة أمة ناهضة توسع الخطا في طريق الاستقلال وتوشك أن تتبوأ مقعدها اللائق بها وبمجد فراعينها الاولين . فوقفت حجر عثرة في سبيل أمانيتها وغاياتها المشروعة المباحة وجعلت تحاربها بمختلف الوسائل العدوانية — سرّاً وعلانية — حرباً انتهت بالاحتلال المشؤم الذي تم لها أمره في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

لامشاحة في أن ذكرى ذلك اليوم المنحوس تبعث في نفوس المصريين جميعاً أشد المرارة والحسرة . وتحرك فيهم عواهل السخط والمقت نحو اولئك الواغلين الظالمين الذين فوتوا عاينهم — باعتدائهم الجنائي — مغنم كثيرة كانت ترى على مر الايام وتؤتيهم أطيب الثمرات . وليس بدعا أن يؤدي المرشدون والمصاحون واجبهم الوطني في مثل هذه الحالة ، فيذكروا مواطنيهم بما غبر من أيام محنتهم اثاره للعزة الوطنية في نفوسهم . فهكذا صنعت من قبلنا الامة المغلوبة على أمرها فعادت بعد أن كانت مفككة العرى مقطوعة الاوصال تتراءى للابصار في وحدة هيبه ، وحلة قشبية ، وقوة متينة . وتلك لعمري مظاهر جد ترهب الغاصبين فلا يحسنون العبث في ضوءها مهما كانوا عتاة متبادين .

وإذا كان هذا التذكير وسيلة محموده مرغوباً فيها لاستنهاض الهمم وتحريك العواطف القومية في الامة المستعمرة (بفتح الميم الثانية) فانه مما يبعث على الامل في الوصول إلى هذه النتيجة المنشودة أن يضطلع بالامر أناس يقدرون المصلحة الوطنية العليا حق قدرها ويعرفون كيف يعملون شأن أمهم ويخدمون أنفسهم وأعقابهم أجل الخدمات وأشرفها .

فللتذكير بحادثة من الحوادث الجسام يقضى الواجب الوطني على المذكرين المرشدين أن يتحرروا أسبابها ومقدماتها ويبحثوا عما أحاط بها من حقائق وأسرار بحثاً ينتهي بهم إلى ايجاد وجهة نظر قومية بحجة لا تتعارض مع الحقائق العامة التاريخية .

ولكن فريقة من الكتاب في مصر كثيراً ما يتخطى هذه الاعتبارات الجوهرية فيما يدلى به الى الامة تذكيراً لها بعدوان ساليب حريتها ، ولفتاً لنظرها إلى أساليب ختله ومكره .

وقد يغلو بغض هذا الفريق ويتجسس في عناده فيسلم — في حوادث مرتبطة بتاريخ البلاد وجهادها القومي كل الارتباط — بوجهة نظر أعداء حريتها واستقلالها تسليماً مزرياً يجرح الكرامة الوطنية ويحط من قيمتها العالية . بل قد يذهب أحد أولئك الكتاب إلى أبعد من ذلك فيهمل — عن عمد — حقائق لا خلاف فيها وقد سلم بها أشد أنصار الاستعمار تطرفاً . وهي بعد مما يتعشى مع وجهة نظرنا القومية . وفي التشبث بها كل الصاحبة لنا ولقضيتنا العادلة . وهذا مما يؤسف له كل الأسف .

فالحقيقة الثابتة التي لا سبيل إلى النزاع فيها هي أن إنجلترا بطشت بالمصريين ظلماً وعدواناً تحقيقاً لأغراضها الاستعمارية التي سمعت منذ أكثر من مائة عام في سبيل الظفر بها وملء يديها منها .

لم تعتمد إنجلترا في عدوانها على المصريين إلا على القوة القاهرة . نهبها وحدها خرقت القوانين الدولية وأقدمت على فعلتها الهمجية التي استخضت عليها أحرار أبناءها قبل غيرهم من أحرار الأمم الأخرى . وإلى القراء ما جاء في رسالة للمستتر بنيت بعنوان « خراب مصر » جعلت مقدمة لكتاب وضعه تيودور روتستين ونقله إلى العربية الأستاذان الفاضلان عبد الحميد العبادي افندي ومحمد بدران افندي قال : — « عندما كان السير يوشامب سيمور يطاق نيران مدافعه على الاسكندرية (لأمر لا يعلمها بالدقة السان) ظهرت نشرة صغيرة عنوانها (السطو على المصريين . نبأ فاضح) أورد فيها كاتبها مستعداً من الكتاب الأزرق مجمل دسيسة الدائنين ، وكيف أدت إلى انحياز إنجلترا إلى دائني مصر ضد المصريين ، وعددها قضية هؤلاء الدائنين قضية لها . واذكر أيضاً ما قاله ذلك الحر المتطرف القاب المرحوم السير ولفرد لوصن عندما قرأ هذه النشرة (لو نشرت من أشهر لما أقر الشيخ الجليل المستر غلادستون هذا الحيف فقط) وهو قول صحيح . ولقد طبعت النشرة المذكورة ست مرات في نحو ستة أسابيع وأغضبت كل حر صادق الحرية اطلع عليها واثارت اسفه . غير أن ذلك الأسف الذي جاء بعد فوات الوقت ولم يكن ليقف الحرب قد وسم حكومة ذلك العصر بميسم العار . »

وقال المستر تيودور روتستين في كتابه الذي أشرنا إليه : — « ومهما يكن

من شيء فقد اتضح ان انجلترا عقدت النية على أن تجبه الدول بحقيقة واقعة تذر
 المذكرة المشتركة التي قبلتها الدول قصاصة ورق ليس فيها غناء ، وترىها
 انه في كل نظام يوضع لحل المسألة المصرية يجب أن يكون لانتحرا الحظ الاوفر
 من النفوذ . ولا مراة في أن عملها هذا كان يخشى منه عليها . ولكنه أفلح كما
 يفلح كل عمل وتحت تقوم به دولة شديدة البطش والسلطان . لم تكن الحقيقة
 الواقعة التي أتهمها انجلترا غير ضرب الاسكندرية بحجة أن المصريين كانوا يقوون
 بتحصينات تهدد الاسطول الاجنبي . وهي حجة أجاد تسخيفها المستر ريشردز
 في البرلمان الانجليزي إذ قال (أجدر جلايخوم حول بيتي وعلائم الاجرام بادية عليه .
 فأبادر إلى إحضار الاقفال والمتاريس وأحكم سد نوافذى . فيقول ان هذه إهانة
 له وتهديد . ويحطم على أبوابى ويعان انه إنما فعل ما فعل دفاعا عن نفسه ليس غير)
 والحق أنه لا شيء أخط قيمة ولا أصرح تنافا من الحجة التي شرع بها الانجليز
 في ضرب الاسكندرية وهي مدينة لها شأن عظيم في عالم التجارة ولا يتلى عامرها
 لذلك العهد عن مائة ألف نسمة . »

ويقول المستر روتستين في موضع آخر : « إنه ليس معقولا أن يحتج الانجليز
 بمخطر يهدد حياة الرعايا البريطانيين لانه لم يكن ثمة خطر ما . إن رجال القنصلية
 البريطانية كانوا طوال شهر يونية بالاتفاق مع أمير البحر سيمور يخرجون الرعايا
 البريطانيين من مصر إما إلى سفن الاسطول أو إلى بلدانهم . وهذا يؤيد ما عرفناه
 من مصدر مباشر من أن ضرب الاسكندرية كان قد تقرر من أول شهر يونية . »
 ثم قال : « إننا نهمنا تلك الحقيقة الساطعة وهي أن انجلترا قد خرقت حرمة القانون
 الدولي وأتت أمرا هجيا لم يسبق له مثيل . أمرا لو صدر من دولة أضعف منها
 لحوسبت عليه حسابا عسيرا . »

فإذا تقرر أن انجلترا أقرمت في اعتدائها على مصر مع سبق الاصرار على
 الجريمة كما هو ظاهر من الاقوال التي أوردناها للكاتبين سالفى الذكر وأشباهها
 لغيرها من كتاب الغرب الاحرار فقد وضع واجب المرشدين والمذكركين وسهل
 عليهم إيجاد وجهة نظر قومية يثبتونها في أبناء البلاد كلما دعت الظروف والمناسبات
 إلى ذلك إبتغاء شحذ العزائم وإثارة الحمية الوطنية في القلوب .

ولكن هل يمكن أن تتحقق هذه المصلحة الوطنية العليا ، ويرجى أن تستثار

الحمية الوطنية وتشهد العزائم إذا غفل أولئك المرشدون والمذكرون عن هذه السبيل المأمونة المفهومة وراحوا يتحسسون عورات من ضحوا بأمنهم وراحهم ووقفوا في وجه المنجترا تابية للواجب الوطني المقدس لا يلوون على شيء!! والواقع الذي يؤسف له كثيراً أن في مصر طائفة من كتاب الحزب الوطني يأبون إلا أن يصموا عرابي بعيب ما لحاجة في نفس يعقوب . ولسنا هنا بسبيل إثبات هذه الحقيقة وإنما نريد أن نقول أن هذا المنهاج الذي ظلوا فيه إلى الآن جدير بهم أن ينصرفوا عنه فهو ليس يضير الثبات على المبدأ في شيء لا سيما وقد وضحت اليوم للخاصة والعامة شواهد وحقائق كانت من قبل خافية مجهولة ويكاد يكون كل حجج أولئك الكتاب وبراهينهم في اتهام عرابي ما اذاع الغاصب من أباطيل وردد المغيظون اعداء حريتها واستقلالها من تلك المفتريات المختلفة .

يجملون المفرضين من كتاب الغرب سندهم في اتهامهم فيظلمون البلاد ويؤيدون وجهة نظر اعدائها فما اخسر ما يربحون .

ما نحب أن ندخل في جدل مع هؤلاء الكتاب وخاصة في الظروف الحاضرة . لكننا نرجو أن نلقئهم إلى أن ترد يد تلك النعمة المؤسفة في مقام تذكير الامة بيوم من أيام نحوسها لا يكسبها شرفاً . بل يميت فيها الشعور بالثقة بزعمائها ورجالها العاملين . وهذا هدم شنيع لا يمكن أن يوصف بالخدمة الوطنية . وكان الخلق بهم إن كانوا حقاً طلاب الحقيقة التاريخية والصالحية الوطنية العليا ان يتحرزوا في اتهامهم العظيم الذي يتهمون به عرابي . ويصبروا على ما في نفوسهم حتى يروا البرهان المبين على صدق ما يدعون . كتب الاستاذ احمد وفيق في يوم ١٤ سبتمبر الماضي كلمة في جريدة الاخبار الغراء بعنوان (فذكر إن وقعت الذكرى) قرأتها متأخراً وأسفت على ما جاء فيها من معلومات غير صحيحة فيما يختص بحادثه ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ والدور الذي لعبه عرابي فيها — نقلا عن كاتب يدعى (كوشري .) ولا شك في انه لم يورد أقوال (كوشري) هذا الا لانه مقتنع بصحتها أولانه على الاقل يرجو أن يقنع القراء بصحتها . ومن هنا يأتي الاسف لانه مما لا يمكن تعليقه أن يتعاق بعض المشتغلين بالتاريخ والسياسة عندنا بأذيال كتاب من أمثال (كوشري) اذا خطرت مصر ببالهم فلكي توظف فيهم الشهوات

فلا يصدر عن فيما يقولون ويفعلون الا عنها ولا يكونون لنا الا ضداً . والحال ان طائفة أخرى كبيرة من أحرار الغرب وخيرة كتابهم وصلت الى الحقيقة ببحثها ونزاهتها فأذاعتها وانصفت مصر في محنتها تلك وكانت معها تقريراً للحقيقة وإرضاء لشعورها الانساني الشريف : ولا يمكن أن يفهم الخطأ في اختيار أى الفريقين أولى وأقرب إلى المصلحة الوطنية أن يكون شاهداً في مواطن الذكرى والاعتبار ! وماذا قال (كوشري) هذا الذي نقل عنه الاستاذ وفيق . قال — بعد كلام طويل صور فيه المعارك التي نشبت بين المصريين والانجليز كأنها رواية تشيلية — « ففي الواقع ما أجمل هذا النصر وأروع ذلك الذي يحرزه الانسان على عدو مهذار يعبد الظواهر ويرمز إلى قائده الاعلى باحجار الشطرنج وليس في مقدوره إلا أن يبيع نفسه لمن يتقدم سخياً ولا آخر مزايده . إذن من ذلك الرجل الذي سلم في بلاده للاجنبي ؟ ويلوح لنا أن الانجليز خلقتهم من جميع الخرق البالية ليكون دعامة يركن اليها في قضاء حاجات قضيتها ؟ انه عرابي »

ففي بضع كلمات زيف الحركة الوطنية وآتهم زعيمها بأشنع الجنايات فهو بلا شك عدو لدود للفكرة الوطنية التي شاعت في أرجاء مصر في تلك الايام وأقل ما يمكن أن تقابل به أقواله هو التحفظ الشديد إن لم يكن الرفض البات . ومع ذلك فلا يزال يوجد فينا من يذيع أقواله وأقوال أمثاله في مقام الاستشهاد كأنها بعض التنزيل الحكيم

على ان الرجل في الواقع لا يهمه عرابي ولا جيشه . ولا تهمة الحركة الوطنية ولا الكرامة القومية ولكنه يريد الوصول الى غرضه بجميع الوسائل . فشططه وهو ذو غرض — مفهوم . أما نحن فماذا يلجئنا الى هذا الشطط وأى شيء يفسرنا على مثل هذا التحمل والاعتساف ؟ هذا لعمر الحق غير مفهوم .

ولكى نثبت أن (كوشري) هذا كان يصدر عن غرض فيما كتبه في هذا الشأن . نأتى بعد على بعض أقواله التي تكشف لنا عن ذلك الغرض . قال : « ولم يكن القائد الانجليزي أضعف من أن يظفر بعدوه وينكل به تديكلاً . لم يكن من السير جانت ولسلي الذي لم يكن بعد الفيلد مارشال فيكونت ولسلي أوف كايزرو والقائد العام للجيش البريطاني إلا أن يكون ابن الحظ الرقيق السريع العطب بعد تلك المعارك الخرافية . إنه لم ير في مصر تلك الزوابع التي قصفت

جنده في سنة ١٩٠١ — تلك التي جعلته مسؤولاً عن اندخاراته في الترنسفال تلك التي اضطرته إلى أن يأتي مقهوراً ذليلاً ليدافع عن نفسه أمام مجلس اللوردات. ويتراجع بذاته عن قضيته الخاصة الخاسرة وسط زملائه النبلاء الخ الح « فالرجل كما ترى يكره القائد ولنسلي الأنجليزى ويتعقبه ليقبل من قيمة انتصاره ويهول من شأن خذلانه . واذن فما أعجب أن نتخذه نحن فيصلا في قضايا جهادنا الوطنى !!

وبعد فانا نرجو أن يكون في مرور تلك الذكريات المؤلمة ما يلفت أولئك الكتاب الى وجه الخطأ فيما هم فيه متمادون . هداانا الله وإياهم الى ما فيه الخير والصواب

عبد السميع عرابى

الزولوجيا

أو مبادئ علم الحيوان

— ٤ —

أصناف الخلايا المختلفة — الانسجة

علمنا من قبل أن المادة الحية في أجسام الحيوانات العليا تنقسم إلى خلايا . وهذه الخلايا على كثرتها لا تماثل أنواعها أبداً . بل يختلف بعضها عن بعض في الحجم والشكل والخصائص . بيد أن هذه الخلايا المختلفة الأحجام والأشكال يمكن حصرها وتبويبها تحت قليل من الصور الرئيسية ، في حين أن الإحاطة بهذه الصور ، والوقوف عليها سنادة ضرورية لكل من يريد أن يفقه شيئاً من حقيقة المصطلحات اللغوية التي توصف بها تراكيب أنواع الحيوانات على اختلافها وتباينها . ولاشبهة في أنه من المستطاع أن نقارن هذه الصور بالحروف الأبجدية التي نتركب منها الكلمات في أية لغة من اللغات ، تؤخذ فيها أنواع الحيوانات على